إشكالية بناء الهوّية النفسية الاجتماعية

-دراسة تحليلية نقدية-

د.فتيحة كركوش
جامعة البليدة2 (الجزائر)

Résumé :

Concept polymorphe, que se partagent tant les approches scientifiques que les connaissances ordinaires, l'identité est une donnée complexe à appréhender, en raison à la fois de sa transversalité disciplinaire et des rapports dialectiques qui fondent les réseaux conceptuels auxquels elle peut être associée.

C'est un ensemble de caractéristiques personnelles qui se tissent à travers un processus de socialisation en rapport avec autrui et se regroupent, par la suite, pour donner naissance à la spécificité des individus et des groupes dans un aspect socioculturel bien particulier.

Il est évident que les premiers attachements (mère / enfant) sont indispensables dans la formation du soi, et ce là à partir des interactions précoces qui se font dans une atmosphère dynamique chargée d'émotions (crises, tensions…) exigeant des stratégies pour une meilleure structuration de l'identité.

Mots clefs : Identité, la formation de l'identité, l'individu, la société, la socialisation.

الملخص:

لا جدال في أن مفهوم الهَوية يُعد من بين المفاهيم التي تتقاطع عندها العديد من التخصصات(سواء كانت علمية أو فلسفية أو اجتماعية أو نفسية أو أنتربولوجية أو سياسية). فهي ليست معطى نولد به؛ إنما لها جذورها في مراحل مبكرة من عمر الإنسان، تعطيه إحساسا داخليا بالوحدة والانسجام والانتماء.

فهي مجموعة من الخصائص التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها وتعمل على تكوينه في خضم عملية التنشئة الاجتماعية، والتي تميزه عن الأفراد المنتمين إلى جماعات أخرى، حيث لا تكون هذه الخصائص والمميزات الجمعية صدفة؛ بل تتجمع عناصرها وتطبع الجماعة بطابعها على مدار تاريخ الجماعة من خلال تراثها الإبداعي (الثقافي) وطابع حياتها (الواقع الاجتماعي) وتغيرات خارجية شائعة مثل الرموز والعادات والتقاليد واللهجة في غيرها.

ويبنى وعي ثابت للذات بصفة متدرجة في خضم العلاقة العاطفية بين الأم ووليدها انطلاقا من التفاعلات المبكرة التي تعمل على تكوين الشعور بالهوية في سياق حركي دينامي، إلا أن هذه الحركة لا تمر دون انقطاعات أو أزمات، كلها تولّد توترات تفرض على الفرد القيام بتعديلات مستمرة في هيكلة هويته وفي علاقته بغيره.

كلمات مفتاحية: الهوية، تكوين الهوية، الفرد، المجتمع، التنشئة الاجتماعية.

1. مـقـدمـــة:

تعتبر البحوث التي تناولت الذات والهوية ضمن المواضيع القديمة في علم النفس وقد تناولتهما كل التيارات بدء بفرويد (Freud) ويونغ (Jung) وشيلدر (Schilder) وينيكوت (Winnicott) وسبيتز (Spitz) واريكسون (Erikson) وكوت (kohut). كما تم الرجوع لمفهوم الهوية في نهاية القرن التاسع عشر من خلال أعمال وليم جيمس (W.James) الذي أدخل العامل الاجتماعي والثقافي، إضافة إلى مفهوم الوعي بالذات من طرف كل من ميد (Mead) وكولي (Cooley) وبالدوين (Baldwin)، إلا أنه في النصف الأول من القرن العشرين كبتت السلوكية هذا الحقل من البحث بتركيزها على السلوك الملاحظ فقط. وبالمقابل، ظهر في أوربا وتحديدا في فرنسا تيار علم النفس التكويني والاجتماعي (psychologie génétique et sociale) بزعامة كل من فالون (Wallon) وزازو (Zazzo) وتاب (Tap) وكاميليري (Camilleri).ثم اتسعت هذه البحوث بفضل إسهامات علم نفس ما بين الثقافات (la psychologie interculturelle) وعلم النفس المعرفي (psychologie cognitive) الذي أدمج إشكالية الذات في علم النفس التجريبي، بينما يُشكّل الآن مفهوم الهوية موضوعا محوريا في علم النفس، حيث يستقي من كل تخصصاته مصدرا للبحث في هذه الإشكالية.

ومن هذا المنطلق تكتسي هذه الدراسة التحليلية أهميتها في كون موضوع الهوية في حد ذاته موضوعا يعد ملتقى للكثير من التخصصات والميادين.

2. مدخل كرونولوجي في مفهوم الهوية:

لا يمكن الحديث عن الهوية دون أن ذكر ما قدمه اريكسون (Erikson, 1968) باعتباره قدم -لأول مرة- بناءا جادا على مستوى هذا المفهوم، حيث استعمله في البداية للكشف عن بعض الأشكال المرضية كغموض الهوية (Confusion d'identité) أو للإشارة إلى الأزمة (Crise) التي يمر بها بعض المراهقين، مُبيّنا كيفية تفاعل العوامل النفسية والاجتماعية والتاريخية والنمائية في تكوين الشخصية؛ ويعود له الفضل في إخضاع الهوية لمجموعة من التخصصات (Multiréférentielle) كالتحليل النفسي وعلم الاجتماع والانتروبولوجيا وغيرها.

وفي هذا السياق، قدم محمد عبد الرحمن (1998) شرحا للتّصور الأساسي الذي قدمه اريكسون، اعتمادا على الملاحظات التي شاهدها اريكسون على الجنود المشاركين في الحرب العالمية الثانية والتي لفتت اهتمامه (العقبات التي لاقوها عندما حاولوا الاندماج مجددا في المجتمع)، وأصبح أكثر انشغالا بالمشكلات التي ترتبط بالانتشار الحاد في الهوية (Acute identity diffusion). ومع الوقت ومن خلال خبراته الإكلينيكية بدأ يعتقد أن الأزمات النفسية التي خبرها الجنود إنما حدثت كنتيجة لتّخليهم عن الدور العسكري ودخولهم في أخر مدني؛ وهو ما يتماثل مع المشكلة التي يمر بها بعض المراهقين عندما يتركون الطفولة ويتحركون قُدما إلى مرحلة الرشد. ومن خلال هذا الإطار التجريبي أخذ اريكسون يُطور هذا المفهوم الذي يشير حسب كتاباته الأولى في سنة 1956 إلى استمرار التماثل (الاتساق مع النفس) والاشتراك في بعض الصفات الجوهرية مع الآخرين. وفي الكتابات اللاحقة أظهر أن التماثل الذاتي والاستمرارية يتم التعبير عنهما من خلال الإحساس الشعوري بالهوية الفردية والكفاح اللاشعوري بغرض استمرار الخصائص الشخصية، والعمليات المتتالية للمحافظة على تركيب الأنا والكفاح الداخلي مع معايير الهوية للمجموعة التي ينتمي إليها.

ثم عمل اريكسون (Erikson, 1968)على تطوير هذا المفهوم ليعَرفه على أنه إدراك الحقيقة وأن هناك تماثل ذاتي واستمرارية (Continuité) من طرف الأنا التكاملية وفي نمط الفردية الشخصية، وأن هذا النمط يتوافق مع التماثل والاستمرار للمعنى الشخصي كما يدركه الآخرون المُهمون بالنسبة للفرد في وسطه الاجتماعي.

ومن جهته، أثرى ماريسيا (Marcia, 1966, p556) الأساس التصوري والمنهجي لدراسة اريكسون حول الهوية، وهي دراسة ذات ثلاث أوجه: بنائي وظواهري وسلوكي، حيث يشير الوجه البنائي إلى بناء نفسي محدد في شخصية الفرد مكَون من جوانب الهَوية وهي الجانب الإيديولوجي والعلاقات مع الآخرين، أما الجانب الظواهري فيدل على وصف المظهر العام لجوانب الهوية عند الفرد (المهنة والدين والقيم وأنماط الحياة والإيديولوجيات والعلاقات مع الآخرين والدور الجندري) والتي تعكس الحس الداخلي وفهم الذات لدى الفرد –والتي عبّر عنها بأربع حالات للهوية–، أما الجانب السلوكي للهوية فيتمثل في السلوكيات التي تعتبر مؤشرات على الهوية يُمكن ملاحظتها وقياسها والتي تظهر في المجالات المختلفة للهوية.

وقد نتج عن توسع دائرة البحوث في هذا الحقل ظهور نظريات كثيرة تناولت مفهوم الهوية في بعده الجنوسي أو الاجتماعي أو الطبقي، وعلى سبيل المثال ما جاء به شيك وبرجز(Cheek & Briggs, 1982) على اعتبار أن الهوية تتركب من ثلاثة أنواع هي: الهوية الاجتماعية والشخصية والتجميعية، إذ يشير مفهوم الهوية الاجتماعية إلى الهوية المتجذرة في العناصر العامة للذات مثل الشهرة وسمعة الفرد وانطباعات الآخرين عنه، أما الهوية الشخصية فهي موجودة في العناصر الخاصة بالفرد مثل القيم والأهداف ومعرفة الذات والحالة النفسية، في حين تشمل الهوية التجميعية مجموع معايير وتوقعات الجماعة المرجعية للفرد كالأسرة والمجتمع والجماعات العرقية والدينية.

بينما قدم بيرزونسكي (Berzonsky, 1989, p280) مفهوما جديدا للهوية، حيث نظر للهوية على أنها مدخلات وليست مخرجات؛ فهو يرى أن الهوية هي عملية أكثر من كونها بناء، وأنها تَشّكل عملية مستمرة من الإدخالات التي يتم بموجبها تقمص مرجعيات مختلفة. كما قدم مفهوما جديدا يتمثل في"نمط الهوية" (Type de l'identite) الذي يستند إلى الاستراتيجيات المعرفية والاجتماعية التي يتميز بها الفرد في معالجة المعلومات ذات العلاقة بالذات والخبرة التي يعايشها الأشخاص، والتي تشمل عمليات ترميز ومعالجة وتنظيم وتعديل المعلومات لاتخاذ القرارات وحل المشكلات، ومن ثمة فالهوية هي بناء مفاهيمي يتكون من الأبنية المعرفية والمخططات العقلية لمعالجة وتذويب المعلومات ذات الصلة بالذات، وهي عملية من حيث أنها تشمل التفاعل بين عمليات الاستيعاب لدى الفرد وعمليات التكيف الموجهة بالسياقات المادية والاجتماعية.

وتعتبر نظرية بيرزونسكي من أحدث النظريات التي تدمج بين ما هو معرفي واجتماعي في تشكيل الهوية –على الرغم من وجود نظريات أخرى على رأسها نظرية وايت بورن (Whitbourne & al, 1996, p63) لأنماط الهوية والتي تستقي عناصرها من نظرية اريكسون وبياجي ومارسيا–.وترى هذه النظرية أن الهوية عبارة عن مخطط ذهني مُنظم من خلاله يفسر الفرد الخبرات والتجارب الحياتية، حيث تتألف الهوية من مدركات للذات تراكمية شعورية ولا شعورية وخصائص الذات المدركة، والخصائص الجسدية والقدرات المعرفية التي تندمج معا والمدركات الذاتية التي يتم تلقيها من العلاقات الحميمية أو مواقف العمل والنشاطات الاجتماعية والخبرات الأخرى للفرد.

ومن ثمة، فان مفهوم الهوية تطور بشكل لافت للانتباه بداية من الخمسينات، ثم شهد خمودا حتى سنوات السبعينات، وكانت الدراسات تتمحور حول فقدان أو بحث أو تأكيد الهُويّة. وابتداء من الثمانينات، توجهت النظريات نحو دراسة السياقات النفسية الاجتماعية للهوية في وضعيات معينة؛ وهو ما جعل الباحثين يتحدثون عن "استراتيجيات الهُويّة" (stratégies identitaires) واضطراباتها بدل الحديث عن "الهُويّة"، فيتبّين أن تطور الدراسات الخاصة بالهُويّة يتم بشكل متوازي مع دراسة سياقات التغير الاجتماعي.فهي مثل باقي الهيئات النفسية، قد تتعرض لمواقف تخل بها سواء نتيجة للعوامل الذاتية أو المحيطية، لاسيما في بعدها الاجتماعي الثقافي بفعل ما هو سائد حاليا من تغير اجتماعي وعدم استقرار في العلاقات بين الجماعات، التي يطغى على علاقاتها طابع الصراع والسيطرة وما تتسبب فيه من تصنيفات اجتماعية نمطية قد تخل بشعور الانتماء لدى الفرد. ولتجاوز هذه الوضعية وحلها يسعى الفرد

للاحتكام أكثر لعناصر نفسية أو اجتماعية أو أسرية أو ثقافية أو سياسية للحفاظ على هويته من الاندثار ومختلف التهديدات.

3. تعاريف خاصة بالهّوية:

نحاول من خلال مجموع التعاريف التالية توضيح مفهوم الهُوية بناء على ما قدمته مختلف التخصصات.

1.3.التعريف اللغوي: حسب لاروس (Larousse,2010, p406) ، فإن الهوية هي ما يجعل من شكليين متشابهين في اللون والشكل، وهي مجموعة ظروف أو وضعيات تجعل من شخص ما مميزا وخاصا.

في حين أشار بلوخ وآخرون (Bloch & al, 1992, p259) إلى أن الهوية تعد "حالة الكينونة المتطابقة بإحكام، أو المتماثلة إلى حدِّ التطابق التام أو التشابه المطلق. والكينونة هنا تتعلَّق بالشيء المادي أو بالشَّخص الإنساني".
ويمكن أن نستخلص أنَّ الأمر يتعلَّق بالتطابق التام ما بين باطن الشيء وظاهره، أو بتماثل التجليات الظاهرة لأي كينونةٍ مع جوهرها العميق بلا انفصام أو انشطار مهما كان ضئيلا.

2.3.التعريف الفلسفي: يعرّف المعجم الوسيط الهوِيةَ فلسفيا بأنها" حقيقة الشَّيء أو الشخص التي تميزه عن غيره".
ويُحدد جان بول سارتر (J.P.Sartre, 1973, p89) هوية الشخص بأنها" أنا كائن يستدعي حضور كيان الأخر"؛ ومعنى ذلك أن هذه العلاقة تستلزم سياقا معينا غالبا ما يكون جماعيا (الأسرة والصف وجماعة الرفاق وغيرهم) ويضم المعايير والقيم والقوانين.

3.3.التعريف النفسي: تستعمل الأبحاث الانجلوساكسونية مفهوم الذات للتعبير عن الهوية (Self concept, Concept de soi).ويعد وليم جيمس من الأوائل الذين استعملوا هذا المفهوم، حيث اعتبر الذات "أنها مجموع كلي لما يستطيع الفرد أن ينسبه لنفسه".

وقد عرّف تاب (Tap & al,1986) الهوية في البداية على أنها جملة معايير تُمكّن من تعريف فرد ما؛ وهي شعور داخلي، ويتعدد هذا الشعور بالهوية إلى الشعور بالوحدة والانسجام والانتماء وبالقيمة والاستقلالية والثقة؛ إنها مجموعة هذه المميزات منظمة حول الإرادة في التواجد.

ومن جهته، اعتبر تاب (Tap & al,1986, p59) الهوية " نظاما من تصورات الذات ونظام مشاعر إزاء الذات"؛ ومعنى ذلك أنه لا يمكن اعتبارها كنتيجة سياق عقلاني محض، ولا كمجموعة إسنادات ذات دلالة تدرك بصفة موضوعية، فصورة الذات هي بناء ذاتي متجدد باستمرار، يتناوب بين المشاعر والانفعالات التي تختلف في اتجاهها وطبيعتها.

فهويَة الشخص هي مجموعة الخصائص الجسدية والنفسية والأخلاقية والقانونية والاجتماعية والثقافية التي تمكن الشخص من تعريف نفسه وتصور ذاته وتعريف غيره بها؛ أو التي يستطيع الغير أن يعرّفه بها ويُحدد موقعه منه.

وأوضّح محمد عبد الجابري (1976، ص 722) "أنه لا هوية من دون وجود وشعور بذلك الوجود، وهذا يقوم على وعي للذات ينطوي على إدراك لتمايزها عن الآخر ولخصوصيتها في آن معًا، مهما كانت درجة ذلك الإدراك حتى لو كان إدراكا أوليا أو بدائيا."

فالهُوية هي العنصر الذي يحس الفرد بواسطته بأنه موجود كشخص في كل أدواره ووظائفه ويحس بنفسه مقبولا ومعترفا به من طرف الغير ومن جماعته الثقافية.

4.3.التعريف الاجتماعي: ليست الهوية بنية مغلقة وإنما هي بنية متحولة باستمرار، ولكن على محور ثبات. إنها مصطلح يعكس نفسه تحت مجهر الزمن ومعاييره، وفي سياق علاقة تبادلية تنهض على تفاعل متحقق أو مكبوح، مع معطيات الوجود ومكونات المحيط، بحيث لا يُمكن التعامل معه بمعزلٍ عن إدراك مناحي تأثره بالسلطة الزمنية للتاريخ،

وبمعطيات حركة الحياة وغايات الحراك أو السُّكون الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والقانوني. لأنه من البديهي حسب غارفيلد وكولاج (Garfield & College, 2000) أن ينفتح الوجود الواعي على الآخرين ويحتاج إليهم ولا يظهر تمايزه إلا بالاحتكاك بهم، ولكن حضوره ومشروعه وقوة وجوده كل ذلك يتجلى دائمًا بوعيه لخصوصيته وهويته التي تحفظ له ذلك التمايز الذي تكَون عبر تجارب وبيئة وزمن وموروث أجيال من التاريخ والخبرة.

إن التعاريف السابقة لم تتفق على تحديد الهوية بشكل قطعي، إلا أنها لم تختلف في أمر واحد وهو أن للهوية جانب شخصي ذاتي وأخر اجتماعي، وقد بيّن أوريل (Oriol, 1983) أن كل محاولة لإعطاء تعريف شامل ووافي ونهائي يُرضي النفسانيين والاجتماعيين والانتروبولوجين ستظل بدون جدوى.

4. السياق التحليلي:

ليست الهوية معطى نولد به؛ إنما لها جذورها في مراحل مبكرة من عمر الإنسان، ومن خلال ما يلي سنتعرف على أهم محطات تشّكلها وبناءها.

1.4.أهم مراحل بناء الهوية:

1.1.4.الهوية الجسمية: الجسم هو السند والقاعدة للشعور بالهوية، وعندما يستطيع الطفل تحديد الإحساسات والضغوط والانفعالات في جسمه يتمكن عندئذ من التميز بين الذات والأخر، والتعرف على الأخر من خلال مظهره الجسمي واحتكاكه مع الأشخاص الذين يقومون برعايته، ويعي الحدود الخارجية من جسمه ومن إحساساته الداخلية (من جوع وعطش وإخراج وغيرها). كما تطبع صورة الذات بالمثيرات النزوية والعاطفية التي تقوم باستثمارها؛ فهي تمثل تصورا يتطور ويُبنى تبعا للتطور الزمني وإحساسات اللذة والألم التي ترافقها. وهو الأمر الذي يؤكده شيلدر (Schilder,1968, p68) بقوله: " يرتبط الليبيدو النرجسي بصورة متلاحقة مع مختلف مناطق صورة الجسد ومراحل تطور الليبيدو؛ ومن ثم فان نموذج الجسم يتغير باستمرار".

وتتأثر صورة الجسم ومختلف مناطقه بمدى اهتمام الآخر به (بفضل النظرات والكلمات وطرق اللمس وغيرها من الاحتكاكات)، حيث يتماشى هذا الاهتمام مع القيمة التي يعطيها الفرد لجسمه؛ وهو الأمر الذي يعني وجود نوع من التقمص الجسدي الذي يحمل صورة الجسم وتصور الذات. كما أن الإحساسات الجسدية والاستثمارات النرجسية للذات مرتبطة بنوعية الرعاية الأمومية؛ وهو ما يُولد الذات الحقيقية (Vrai self) والذات غير الحقيقية (Faux self).

ومن جهته، أشار بياجي (Piaget, 1964) إلى أن الطفل بين ستة أشهر وسنتين –وبعد أن يعي إحساساته الخاصة– يتعلم بالتدريج الإحساس والإدراك بوجود محيط "لا أنا" (Non-je) الذي يمثل المواضيع والأشخاص، وليحقق ذلك فهو بحاجة إلى أربعة أصناف مكونة للواقع (الفضاء والزمن والموضوع والسببية)، حيث توصل إلى أن مفهوم الموضوع الثابت (L'objet permanent) يعد أساس مفهوم الهوية، لأنه يعتبر انطلاقة لكل تمايز بين الذات والأخر.مع العلم أن هذه الهوية الجسدية هي هوية جنسية أيضا ولا تكتسب فقط باكتساب الجنس العضوي؛ وإنما من خلال تقمصات الطفولة القائمة على عقدة أوديب والتي تتحدد وفق محددات الذكورة والأنوثة الموجودة في ثقافة المجتمعات.

كما أشار زازو(Zazzo, 1986) إلى أهمية مرحلة المرآة (Stade de miroir) في تكوين الهوية، حيث بحث بطريقة تجريبية كيفية تعّرف الطفل على صورته في المرآة: في السنتين يُكون الطفل صورتين واحدة تجريبية داخلية لجسمه من خلال مختلف الإحساسات، وأخرى خارجية لجسمه في المرآة، والإحساس بالهوية يظهر عندما يستطيع الطفل التمييز بين التجربة الداخلية والخارجية، وهذا التطور ناتج عن ميكانيزم ثنائي **تموضع/تملك** (Objectivation /

Appropriation)، إذ يمثل التملك السيرورة التي يصبح من خلالها الطفل مرئيا لنفسه ويكون موضوعا في فضاء الموضوعات، لأن إدراك هوية الموضوع ووحدته وثباته يُبنى على تصور فضاء وثبات الموضوع عبر الزمن. ويُوضّح زازو أنه من خلال هذا التلاحم تتحقق قدرة الطفل على استعمال "أنا" في خطابه، مضيفا أن تقمص الأخريين كأشباه تُوظّف بفضل آلية عكسية: ينسب الطفل لهذا الآخر داخليته الخاصة (Intériorité). كما تتماشى الهوية الجسمية والتطور الجنسي والاجتماعي بكل مراحل الحياة من البلوغ إلى الأمومة والنضج والشيخوخة وتدفع كل مرحلة من هذه المراحل إلى إعادة النظر (Remaniement) في الهوية الجسمية القائمة على الشعور الكلي للهوية. فعلى مستوى البناء الجسدي، تتكون الهوية في سياق **جدلي**: بين الداخل والخارج، أي تقمص مزدوج وتقمص مثلي، الاستمرارية والتغير، نظرة نحو الذات ونظرة نحو الأخر، وعلى هذا الأساس تظهر هذه الجدلية في تفاعل عاطفي معرفي واجتماعي بين الفرد ومحيطه.

2.1.4.الهوية والتفاعلات: يبنى وعي ثابت للذات بصفة متدرجة في خضم العلاقة العاطفية بين الأم ورضيعها، وقد أشار سبيتز (Spitz,19_ , p81) إلى أهمية التفاعلات المبكرة في تكوين الشعور بالهوية مركزا على ثلاث تنظيمات:

- الابتسامة (Sourire): تمثل تقليد واستجابة لمثيرات المحيط فهي تعد قاعدة لكل العلاقات المستقبلية.
- قلق الشهر الثامن (Angoisse du 8eme mois): هو استجابة لرؤية الغرباء، يتعرف الطفل على انفصال أمه عنه ويستطيع تمييزها.
- الرفض (Le non): يظهر الرفض في حوالي السنتين، ويسمح للطفل بالمعارضة، ومن ثمة فهو يتميز عن غيره. كما يمثل مرحلة تأكيد وإدراك الذات بشكل مستقل.(L'identité se pose en s'opposant)

تتزامن هوية الأشخاص والأشياء التي تحيط بالطفل من خلال الأحكام القيمية (جيد/ سيئ، خير/شر وغيرها من صفات)؛ فهي تقترح هويات يحددها في نظام تصنيفي حسب هرمية منظمة، تؤدي هذه السيرورة إلى إنتاج نماذج مثالية للتقمص وكأنها جاهزة، حيث تطلب الأسرة والمجتمع من هؤلاء الأفراد العمل وفقها. ويمكن للطفل بفضل اللغة واللعب أن يقوم بمختلف الأدوار على المستوى الواقعي والخيالي: فالمستوى الواقعي يتمثل في الهوية الاجتماعية التي يستجيب من خلالها لمطالب الكبار الذين يفرضون عليه نمطا معينا من السلوك(الطاعة والنظافة وغيرها). أما المستوى الخيالي، فيُعبّر عنها في اللعب من خلاله تقمصه أشخاص خياليين أو حقيقيين ليغذي رغبته في أن يصير شخصا كبيرا ومستقلا. ويتوسع مجال التقمصات بتوسع الوسط الاجتماعي، ويدمج الطفل بالتدرج جماعات الانتماء الـ"نحن" الذين يشاطرهم ويطبع القيم المعرفية والعاطفية، ويبني معهم الذاكرة الجماعية التي تمثل مجموعة الأحداث والتجارب والنماذج والتصورات؛ هذا ما يعرف بالتصنيفات الاجتماعية (Stratification sociale) وتنبعث أيضا استراتيجيات فردية أو جماعية التي تضع "نحن" في مشروع هوية للاعتراف والتقييم الاجتماعي. مع العلم أن التقمصات تتأتى أيضا من الجماعات المرجعية التي يستمد الفرد منها نماذجه التي يسعى من خلالها أن يندمج حسب ما يرغب في أن يكون، فهي لا تترجم فقط وضعية الفرد المحددة بتاريخه ومكانته الاجتماعية، بل كذلك بطموحاته وحيويته الفردية والاجتماعية، وتؤثر هذه الدينامية بشدة على الشعور بالهوية.

3.1.4.الأزمات والتحولات: لا تعتبر هذه السيرورات مجرد إضافة متتالية لعملية بناء الهوية؛ إنما أيضا إعادة إحياء(Remaniement) ومحاولات إدماج نوعا ما ناجحة، إلا أن هذه الحركة لا تمر دون انقطاعات أو أزمات أو مشكلات ذات طبيعة مَرضية في بعض الأحيان وذلك على اختلاف المراحل العمرية.

وتتدخل عوامل جديدة ذات طبيعة اجتماعية يمكنها أن تؤدي إلى تغيرات مهمة على مستوى الوعي بالذات (المهنة والزواج والأمومة والأبوة والبطالة وغيرها من التحولات)، فقد تؤثر هذه العوامل بصفة عميقة في الهوية النفسية والجسدية وصورة الذات وتقديرها، وأحيانا تولد أزمة حقيقية على مستوى الهوية إلى درجة تهز كليا إدراك الذات لدى الفرد.

2.4. سيرورات بناء الهوية:

يتولد الشعور بالهوية من مجموعة سيرورات متسلسلة، حيث عمل ادموند (Edmon, 2005) على تقديمها حسب الترتيب الآتي:

– سيرورة التفرد أو التمايز(Processus d'individuation): عندما يستطيع الطفل تحديد موضع أحاسيسه وتوتراته وانفعالاته في جسده، يصبح قادرا على التميز بين ذاته وغير ذاته. وتشكّل صورة الجسد مصدر تصور الذات وحاملة مشاعر الهُويّة، إذ أن الجسد يعد حدا بين الداخل و الخارج، فهو حد ملموس للفردية.

– سيرورة التقمص (Processus d'identification): يتبنى الفرد نماذج الآخرين ويتشبه بهم من خلال هذه السيرورة، واحتل هذا المفهوم (التقمص) مكانة واسعة في كتابات فرويد، حيث يشير كل من لابلانش وبونتاليس (Laplanche & Pontalis, 1968, p159) إلى " أن التقمص أو اكتساب الهوية قد أخذ بالتدرج مكانة واسعة عند فرويد؛ فهو يمثل أكثر من عملية نفسية، إنها الطريقة التي يتكون من خلالها الفرد الإنساني".

ومن جهته، حدد تاب (Tap, 1985) ثلاثة شروط أساسية لتسهيل سيرورة التقمص وهي: أن التقمص يفترض وجود "الشعور بالود" بحيث يكون متبادلا بين الطفل والنمط الذي يتقمصه، كما يقتضي التقمص شرط "التشابه" لأنه يتطلب وجود عناصر مشتركة أو عناصر تشابه بين الطفل والنمط الذي يتقمصه، وأخيرا "القوة" لأن عملية التقمص تصبح سهلة كلما كان النمط معتبرا محترما، وعلى هذا الأساس تتفاعل المركبات الثلاثة فيما بينها.

– سيرورة التثمين النرجسي (Processus de Valorisation narcissique): يكون الاستثمار عاطفيا، فكلما وجد دعم من طرف المحيطين خاصة العائلة كلما تم تغذية الهوية والتسريع في نموها. وقد أسفرت دراسة قام بها كل من بوسما وكونن(Bosma &Kunnen, 2001) أن الأطفال الذين يتحصلون على دعم وتشجيع مستمرين من أحد الوالدين أو كليهما ويتوفر لديهم إخوة سبقوهم في السن تكون الهوية لديهم أسرع نموا وأكثرا استقرارا من الذين لا يحظون بالشروط السابقة؛ وهو الأمر الذي يرفع من تقديرهم لذواتهم ويشبع نرجسيتهم.

– سيرورة الاحتفاظ (Processus de conservation): تضمن هذه السيرورة الاستمرارية عبر الزمن بالوعي الذاتي والشعور بالثبات رغم اختلاف الأدوار والمواقف بتغير الزمن.

– سيرورة الانجاز (Processus de réalisation): يظهر من خلالها تفتح الفرد نحو المستقبل بما فيه من انجازات ومشاريع.

وكل هذه السيرورات تعمل في قالب حيوي دينامي لأنها سيرورات متطورة، وتميل نحو الاستقرار النسبي؛ فالشعور بالهوية يتأثر باستمرار بالمواقف الحياتية كالأدوار والمكانات والعلاقات مع الآخرين والأحداث الخارجية (لقاء وحداد وطلاق وفقدان وهجرة وغيرها)، تؤثر كل هذه الأحداث على صورة الذات والشعور بالهوية، فهي ليست بالحركة الجامدة الخطية، إنما تطبع بالتحولات والحركات النكوصية التي تستمد حيويتها من الرغبة في الحصول على التوازن.

وأظهر ليبيانسكي (Lipiansky, 1992) أن نمو الهُويّة لا يمر بدون توترات أو أزمات ومن بينها تلك التي تحدث عند البلوغ أو المراهقة، والتي لا تنتهي أيضا عند سن الرشد، فأحداث الحياة مثل أزمة سن الأربعين والتقاعد والأمومة وسن اليأس، كلها تولّد توترات تفرض على الفرد القيام بتعديلات مستمرة في هيكلة هويته.

– سيرورة متطورة: يستمد الشعور بالهوية جذوره من الطفولة وهي عملية غير خالية من الأزمات والقطيعة، وحتى يصل الطفل إلى حالة من التوازن يجب عليه أن يتكيف باستمرار مع النضج البيولوجي والجنسي والاجتماعي، وهي ليست مجرد تقمصات ثابتة لأنه سيترك بعض هذه التقمصات. وتمثل المراهقة أحد أهم الأزمات والانقطاعات في بناء هذه الهوية لأن الفرد يتمكن من الحصول على نماذج جديدة.

بعد أن أوضحنا أهم المراحل ومختلف السيرورات التطورية التي تعمل على تشكّل الهوية ونموها، فانه من المهم أيضا عدم إغفال عملية **التنشئة الاجتماعية** في مساعدة الفرد على إدخال العناصر الاجتماعية الثقافية لمحيطه، ودمجها في شخصيته تحت تأثير تجاربه مع المتعاملين الاجتماعيين ذوي الدلالة وتعلم النماذج والقيم السائدة في المجتمع التي يستدخلها الفرد لتصبح جزءا من جهازه النفسي.

تنبثق الهوية حسب اريكسون (1968) عن الهجر الانتقائي والتشابه المتبادل للتقمصات واستيعاب الأشكال التي يقدمها المجتمع، وتحتوي الهوية على مجموعة من المشاعر والخبرات والخطط المستقبلية المتعلقة بالفرد، حيث تعمل هذه التجارب في سياقات ثقافية متأثرة بالتفاعلات القائمة بين الأفراد وبيئاتهم.

ومن جهته، ركّز ميد (Mead,1934) على أهمية تبني الشخص لآراء الآخرين حول نفسه، باعتباره يتصرف وفقا لما يعزوه إلى حالات مختلفة، هاته الحالات ناتجة عن تفاعل بينه وبين الآخرين، لأنه يكون مشاركا نشطا وبقدر من المرونة. ويتم هذا البناء وفق ثلاث مراحل: تقليد الأخر يكون ذو معنى بالنسبة للفرد والذي يصبح –فيما بعد– مرجعا، يليه تقمص هذه المرجعيات والتفاعل مع البيئة الاجتماعية، ولا يتم ذلك إلا بتقبل الفرد وضع نفسه مكان الآخر، وفي الأخير "التعرف على الذات" من خلال أفراد الجماعة.

وعلى هذا الأساس، ينظر إلى التنشئة الاجتماعية بوصفها عملية مستمرة من التمايز(Différenciation) والتقمص(Identification)؛ وتحمل هذه العملية في طياتها نوعا من الصراع بين التشابه والتفرد.

ومن ثمة اعتبر زيلر (Ziller) –نقلا عن ادموند (2005)– أن الهوية تتحدد بالأخر، إذ اقترح نظرية التوجه ذات– أخر (Soi- Autrui) معتبرا أن الفرد يتحدد في إطار مع الأخر أو الجماعات المهمة بالنسبة إليه، حيث أن الهوية هي نوع من الإجابات الاجتماعية للمثيرات الناتجة من التفاعلات مع الآخرين، ويسعى الفرد إلى كسب نوع من تقييم الذات من خلال هذه الجماعة.

وقد نتج عن هذه الأفكار نموذج للهوية يشمل المكونات التالية: تقدير الذات والاهتمام الاجتماعي والشعور بالتهميش والتمركز حول الذات وتعقد الذات والتقمص وتقمص الأغلبية والقدرة وإدراك الذات والتفتح نحو الآخر. وفي المقابل، قدم كودول (Codol, 1979) السياقات التجريبية للسيرورة المعرفية الخاصة ببناء الهوية وتحديد ميكانيزمات الاستيعاب والتمايز التي بفضلها يبني الأفراد هويتهم في السياق الاجتماعي وأظهرت هاته الآليات أنها تستجيب لاستراتيجيات تقييم الذات والاعتراف الاجتماعي من خلال نظرة الآخرين.

ويشدد التناول النفسي الاجتماعي على أن الهُويّة تتحقق عبر سياق مزدوج هو **التنشئة** وذلك من خلال الاجتماعية والفردانية. وقد أسهم هذا التناول بشكل مميز في دراسة الهوية بدءا من فكرة ميد التي مفادها أن الذات في أساسها بنية نفسية واجتماعية تتولد بفضل التفاعلات اليومية، وأن الفرد يعي هويته من خلال تبنيه لأراء الجماعة التي ينتمي إليها.

وأوضح اريكسون (1968) أن تكوين الهوية يستلزم سيرورة تفكير وملاحظة متلازمين، وهي سيرورة نشطة في كل مستوى التوظيف العقلي، حيث يقيَم الشخص نفسه على ضوء تقييم الآخرين له وبالمقابل يقيّم الطريقة التي تم تقييمه بها على ضوء طريقته الخاصة في إدراك ذاته، ويكون جزء كبير من هذه السيرورة لاشعوريا. مع العلم أن هذه العملية –حسب اريكسون– هي موضوع تطورات وتحولات على المستوى النفسي والاجتماعي، بحيث تتكون الهوية عبرمراحل تقمصية منذ الطفولة التي تُطبع بنماذج مثالية في سياق ثقافي وفي صور خيالية، إذ تستثمر النزوات الليبدية والنرجسية وتحدد التصورات اللاشعورية لـ "الذكورة والأنوثة" وهذا ما نلاحظه عند الجماعات المهمشة والأقليات، عندما تدمج بصورة سلبية من طرف الجماعة المسيطرة ويدركون ذواتهم من خلال هذها الصورة.

وأوضّح سابرن (Sarbin , 1954) –نقلا عن ادموند (2005) – في نظرية الدور (Théorie de rôle) أن الذات هي نتيجة للأدوار الاجتماعية التي يمارسها الفرد وبالتالي فالهوية متعددة الجوانب، ويمكن أن تكون صراعية على اعتبار أن مختلف الأدوار قد تتناقض، وهو ما يتفق مع وجهة نظر غوردن (Gordon & Gergen, 1968) التي أكدت فكرة تعددية أبعاد الهوية (Multidimensionnel) ولا تعتبر بذلك الذات ظاهرة جامدة؛ إنما سيرورة معقدة من النشاطات والادراكات المتواصلة وأنها بنية منتظمة من الدلالات التي تفرزها عملية التنشئة الاجتماعية، حيث يوضع الفرد في علاقة دائمة مع الأخر.

وبالرجوع إلى التناول التفاعلي (L'approche interactionniste) بزعامة ميد تتضح لنا الصورة بشكل أفضل على اعتبار أن الذات هي نتيجة للتفاعل الاجتماعي. وفي هذا السياق، أشار علاء الدين كفافي (1999) إلى أنه يجب أن لا نغفل الدعم الذي قدمه المنظور النسقي بزعامة باتسون (Bateson) من مدرسة بالو التو (Palo-Alto)، حيث أبرز مدى تأثير الاتصال مع الأخر على إدراك الذات، فمفهوم الرابطة المزدوجة (Double binde) يشير مثلا إلى الرسائل المتناقضة التي قد تُولد اضطرابا شاملا على مستوى الهوية.ولمزيد من الإثراء بخصوص هذه النقاط، نحبذ تحليلها ببعض الإسهاب، كما يلي:

3.4.التنشئة الاجتماعية وتكوين الهوية:

تمثل السياقات الاجتماعية والثقافية والبيئية عامل مهم في نمو الهوية، ويأتي تأثير التنشئة الاجتماعية من اكتشاف الفرد للقيم والإيديولوجيات والمعاني والرموز والالتزام بها خلال العلاقة التبادلية بين الفرد والسياقات في المستوى الواسع والأشمل والسياقات في المستوى الضيق والأصغر.فالسياقات الواسعة هي التي تشمل الثقافة والقيم والبيئة الفيزيائية و الديموغرافيا والسياسة والطبقة الاجتماعية والجماعة العرقية للفرد، أما السياقات الأصغر والأضيق فتشمل أشكال الاتصال بين الأفراد من نقاشات وحوارات وتفاعلات يومية بين الفرد والمجتمع.

تعتبر **الأسرة** من السياقات الاجتماعية المهمة التي تؤثر بشكل مباشر وقوي في نمو وتشّكل هوية الأفراد من خلال عملية التنشئة والتطبيع الاجتماعي. وقد اعتبر آدمس (Adams, 1998) أن نمو الهوية ضروري للفرد لسببين: الأول يتمثل في حاجة الفرد للشعور بالتفرد أما الثاني فيظهر في حاجة الفرد للانتماء وأهميته بالنسبة للآخرين وهذا يتم الاهتمام به خلال التنشئة الاجتماعية للفرد.

وافترض ويترمان (Waterman, 1982) أن التواجد مع الوالدين قبل مرحلة المراهقة هو أحد العوامل المؤثرة في تشكيل الهوية، حيث تبنى حالة من تقييد الهوية إذ تواجد الطفل مع أحد والديه واعتبره نموذجا ايجابيا والتزم بتوقعات الأسرة فيما يتعلق بالمهنة والإيديولوجيات الدينية والسياسية، أما في حال اعتبار الوالدين نموذجا سلبيا للالتزام بالقوانين والإيديولوجيات الدينية والسياسية فان هذا يؤدي إلى تشكيل حالة تشتت الهوية عند المراهق.

بالإضافة إلى دور الأسرة في بلورة المعالم الكبرى للهوية، فان للثقافة دورها الذي لا يستهان به في تكوينها،على اعتبارها ذلك الكل المعقد الذي ينطوي على المعرفة والعقائد والفنون والأخلاق والقانون والعرف؛ أي كل ما يتصل بمقومات الفرد والمجتمع من النواحي الإعتقادية والفكرية والسلوكية، حيث تطبع هذه العناصر المجتمع فتمَيزه على غيره وتطبع بذلك سلوك الفرد الذي يكتسب القيم والمعايير الاجتماعية بفضل التنشئة الاجتماعية، وحتى وان كان لكل فرد خصوصياته التي تميزه عن الأخر إلا أنه يتبنى جانبا من السلوك الاجتماعي الذي يحدد النسق الثقافي للمجتمع، وبالتالي فإننا نقر أن للهوية الفردية أساسا ثقافيا على غرار ما ذكره اريكسون (1968، ص59) قائلا :"لا تتموضع عملية تشكل الهوية على مستوى الفرد فحسب، وإنما تتشكل أيضا من عمق ثقافة مجتمعه".

وفي هذا الصدد، نجد بأن الدراسات الأنتربولوجية الثقافية في الولايات المتحدة قدمت إسهاما كبيرا في ترسيخ دور الثقافة في تشكيل والهوية حفظها، بزعامة كل من ميد ودوفرو، فقد سمحت أعمال هذا الأخير بتبيان أن الثقافة والشخصية تظهران معا وأنهما متطابقتين، إذ تساهم الثقافة في التوظيف النفسي الداخلي للفرد، حيث بيّن دوفيرو (Devereux, 1967) أنه عندما يعاني المجتمع من أزمات فإن ذلك سيعرض معنى الهُويّة لدى أفراده للخلل، وتميل البيئة الاجتماعية في مثل هاته الحالات إلى التأثير على الجزء النووي من نفسية الإنسان والمتمثل في معنى ذاته المكوّن من صورته الجسدية من جهة، وشخصيته العرقية (ethnique) التي تتكون خلال المرحلة الأوديبية ومرحلة "المواضيع" الكلية التي تعمل كوسائط (médiateurs) للبيئة الاجتماعية والثقافية من جهة أخرى.

ولقد خلصت الدراسات الأنتربولوجية إلى اعتبار الثقافة ليست كمجموعة من المضامين الفلكلورية؛ بل كتنظيم واسع متداخل ومعقد لفكر حقيقي يشمل التصورات الخاصة بالعالم ويلجأ استراتيجيات وجودية يسكن فيها الفرد قبل أن يستثمرها. وهي الفكرة التي أوردها نور الدين جباب (2006، 202) بقوله "أن الهوية الثقافية هي منتوج تاريخي أسهمت في تكوينه عوامل اجتماعية واقتصادية وثقافية مختلفة داخلية وخارجية".

إن البعد الثقافي في الهوية يستدعي بدوره الحديث عن الهوية الجماعية أو العرقية، حيث تتحدد الهوية بانتماء الفرد لجماعة ما، وقد تكون:

- جماعة بيو نفسية (الجنس والسن وغيرهما)،
- جماعة اجتماعية ثقافية (عرقية ومحلية ووطنية)،
- جماعة الأدوار والمكانات (أدور عائلية وأدوار عمل وغيرها)،
- جماعات إيديولوجية (فلسفية ودينية...).

ترتبط هذه الجماعات الإنتمائية بنماذج مثالية وتصورات ومشاعر تطبع الشعور بالذات، حيث عبّر موسكوفيسي (Moscovici, 1972,p292) عن ذلك بقوله: "أن الهوية الاجتماعية للفرد ترتبط بمعرفة انتمائه لجماعة اجتماعية معينة وبالمعنى العاطفي والتقمصي الناتج عن هذا الانتماء".

والهوية العرقية حسب برنارد (Bernard, 1970) تسمح بالرجوع إلى تاريخ وأصل واحد في شكل تعبير ثقافي مشترك، والذي لا يمثل إلا جزءا من الثقافة التي تكون لها بمثابة معايير تؤدي إلى التجمع حول موضوع جماعي خاص يُشّكل نواة الهوية الجماعية، والذي قد يكون اللغة والدين أو العادات المرتبطة تاريخيا بهذا العرق، وعلى أساس أن هناك جدال دائم بين"نحن" و"أنا"، فإن الهوية الجمعية (Collective) هي المشاركة الوجدانية الجماعية في تكوين الهوية الجمعية وهي أساس كل أنواع الهويات لأنها ترسي الشعور بالهوية من خلال الشعور بالانتماء أو الشعور بالقيمة المرجعية، فالهوية الجماعية تعتبر عنصر تجانس وتماسك للمجتمع.

5. الخاتمة:

أوضّح محمد مسلم (2009) إلى أن الهوية تعتبر نظاما من المشاعر والتصورات والاستراتيجيات المنتظمة، فهي نظام بنيوي مميز متجذرة في زمنية ماضية "الجذور والثبات" وفي نسق السلوكات الحالية المرتبط بمنظور مستقبلي (المشاريع والقيم والأساليب) تتركب بهويات متعددة مرتبطة بالشخص"هوية جسدية ومزاجية وخصوصيات فردية"، أو بالجماعة "الأدوار والمكانات".

ومن ثمة تعتبر الهوية الوظيفة الدينامية للفرد فهي جوهر وجوده في الحياة لأنها هي التي تمكّنه من التوازن والبقاء والاستمرارية داخل المحيط الذي يتواجد فيه، ومن جهة أخرى تساعد قدرتها على التغير في إيجاد التوازن مع المحيط الجديد.

إضافة إلى ذلك فقد بيّنت دراسة جيلجن (Gilgen, 2005) في مجال علم الأوبئة الثقافية (cultural epidemiology) -والتي أنجزت على مجموعة من البوسنيين والأتراك المقيمين في سويسرا- وجود سبب مباشر للإصابة بالأمراض المزمنة وتشتت الهوية الناتج عن الهجرة لاسيما في أوساط اللاجئين، حيث تقل فرص التواصل مع السند الاجتماعي والفريق الطبي، وبالتالي يتعدى دور الهوية إلى حماية الصحة العضوية.

وعلى هذا الأساس تعتبر الهوية نظاما نشطا وتفاعليا ومعقدا وبنية متعددة الأشكال، حيث أجمع الباحثون على اختلاف توجهاتهم على أن الهوية يجب دراستها في شكلها الدينامكي؛ فهي نتاج سياق يدمج مختلف التجارب ولا يتوقف في سن أو أزمة معينة.فالهوية تعتبر الوظيفة الدينامية للفرد لأنها جوهر وجوده في الحياة؛ فهي التي تمكّنه من التوازن والبقاء والاستمرارية داخل المحيط الذي يتواجد فيه، كما أن قدرتها على التغير تساعد على إيجاد التوازن في البيئات الجديدة.

قائمة المراجع المعتمدة.

المراجع باللغة العربية:

1. محمد السيد عبد الرحمن(1998). **مقياس موضوعي لرتب الهوية، الايديولوجية والاجتماعية في مرحلتي المراهقة والرشد المبكر**، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة.

2.محمد عبد الجابري (1976). **الموسوعة الفلسفية العربية**، مركز الإنماء العربي، بيروت.

3.محمد مسلم(2009). **الهوية في مواجهة الاندماج عند الجيل المغاربي الثاني بفرنسا**، دار قرطبة، الجزائر

4.علاء الدين كفافي (1999): **الإرشاد والعلاج النفسي من المنظور النفسي الأسري**، دار الفكر العربي، مصر.

5.محمد نور الدين جباب (2006). **إشكالية الهوية والمغايرة في الفكر العربي المعاصر**، أطروحة لنيل درجة دكتوراه دولة في الفلسفة، قسم الفلسفة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2.

المراجع باللغة الأجنبية:

6.Adams, G (1998). **The objective measure of ego identity status: Arefrence manual**, Department of family relation and applied nutrition, University of guelph, Canada.

7. Bernard, W (1970). The Self and the Future, **The Philosophical Review,** N° 79; pp.161-180.

8. Berzonsky, M (1989). Identity style: Conceptualization and measurement**, Journal of adolescent research**, N°4,p p268, 282.

9. Bloch, H et all(1992). **Grand Dictionnaire de la Psychologie**, Larousse, Paris.

10. Bosma, H and Kunnen, S (2001). Determinants and mechanism in Ego identity development: A review and synthesis**, Development review**, N° 27, pp39-66.

11. Cheek, J & Briggs, S (1982). Self consciousness and aspect of identity. **Journal of research in personality**, N°16, pp 401-408.

12. Codol, J (1979). **Semblables et différents, Recherches sur la quête de la similitude et de la différenciation sociale**, thèse de doctorat d'État, université de Provence.

13. Devereux , G(1967). La renonciation à l'identité : Défense contre l'anéantissement, In. **Revue française de Psychanalyse**, janv.-févr, Tome XXXI, N°.1, pp.101-142.

14.Edmon, M(2005). Psychologie de l'identité soi et le groupe, Dunod, Paris.

15.Erikson, E (1968) **.** Identity : youth and crisis**, Norton, new Yourk.**

16. Erikson, E (1972). **Adolescence et crise,** La quête de l'identité, Flammarion. Paris.

17. Garfield, j et College, S (2000). **Reductionism and Factionalism Comments on Siderits' Personal Identity and Buddhist Philosophy**, University of Melbourne Central Institute of Higher Tibetan Studies.

18. Gordon, C et Gergen, K (1968). **The Self in Social Interaction**, Wiley, New York.

19.Greimas, A (1970)**. Du sens**, Le Seuil, Paris.

20. Gilgen, D (2005). Impact of migration on illness experience and help-seeking strategies of patients from Turkey and Bosnia in primary health care in Basel , **Health & Place,** N° 11 ,pp. 261–273

21. Laplanche, J et Pontalis, J (1968). **Vocabulaire de psychanalyse**, PUF, Paris.

22. Lipiansky, M (1992). **Identité et communication**, PUF, Paris.

23.Marcia, J (1966). Development and validation of ego identité status, **Journal of personality and social psychology**, N° 3, pp.551-558.

24. Moscovici, S (1972). **Introduction à la Psychologie Sociale**, 2 vol, Larousse, Paris.

25.Mead, G. H (1934). **L'Esprit, le soi et la société**, Paris, PUF, trad. fr. 1963.

26. Poche(2010). **Larousse**, Paris, France.

27. Sartre, P (1943). **L'Être et le Néant,** Gallimard, Paris.

28. Tap, P et al (1986). **Identité et changements sociaux**, Privat, Toulouse.

29. Tap, P (1985). **Masculin et féminin chez l'enfant**, Privat, Toulouse.

30. Oriol, M (1983). **La crise de l'état comme forme culturelle**, un peuple méditerranéen. Paris.

31. Schilder, P (1968). **L'image du corps**, Gallimard, Paris.

32.Piaget, J (1964). **La Formation du symbole chez l'enfant,** Neuchâtel, Delachaux & Niestlé.

33.Zazzo, R (1986). **Les dialectiques originelles de l'identité, In. Identité individuelle et personnalisation**, TAP (P.) et al, Privat, 1986, pp.207-217, Toulouse.

34. Waterman, A (1982). Identity development from adolescence to adulthood: An extension of theory and a review of research, **Developmental psychology**, N°3, pp.341-358.

35. Whitbourne, S et al (1996). Age differences in and correlates of identity status from college through middle adulthood, **Journal of adult development**, N° 3, pp. 59-70.